

سُورَةُ الْحِصَّم



النَّزُولُ: مَكْيَةٌ.

الْمَقَاصِدُ:

- ١ - تحذير الأُمَّة بذكر أخبار الْأُمَّم السابقة المكذبة.
- ٢ - تسلية الرَّسُول ﷺ عَمَّا يُلْقَاهُ من كُفَّارٍ قَوْمَهُ.
- ٣ - إثبات البعث، وجزاء العاملين بأعمالهم من خَيْرٍ أو شَرًّا، ووصف أحوال يوم القيمة.
- ٤ - تقرير التَّوْحِيد بِأَدْلَّتِهِ، وَالْوَحْيِ بِشَوَاهِدِهِ، وَالنَّبُوَّةِ بِأَعْلَامِهَا، وَالْقُرْآنُ الْكَرِيمُ بِعِظَمَتِهِ وَصِدْقِ مَصْدِرِهِ.
- ٥ - تقرير عداوة إبليس لآدم وذرته بداعِ الْكِبْرِ والحسد.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿صٌّ وَالْفُرْقَانِ ذِي الْذِكْرِ ﴾١﴿ بِلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزَّةٍ وَشَقَاقٍ ﴾٢﴿ كَمْ أَهْلَكَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْبٍ ﴾٣﴿ فَنَادُوا وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ﴾٤﴿ وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذَرٌ مِنْهُمْ وَقَالَ الْكُفَّارُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَابٌ ﴾٥﴿ أَجَعَلَ الْأَلَهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَابٌ ﴾٦﴿ وَأَطْلَقَ الْمَلَائِكَةَ مِنْهُمْ أَنْ أَمْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ مَا لَهُتُّكُمْ ﴾٧﴿ إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادٌ ﴾٨﴿ مَا سَمِعْنَا بِهِذَا فِي الْمِلَةِ الْآخِرَةِ إِنَّ هَذَا إِلَّا أَخْتِلَقُ ﴾٩﴿ أَئْنِزَلَ عَلَيْهِ الْذِكْرُ ﴾١٠﴿ مِنْ بَيْنِنَا بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي بَلْ لَمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ﴾١١﴿ أَمْ عِنْدَهُمْ خَرَابٌ رَحْمَةٌ رَبِّكَ الْعَزِيزُ ﴾١٢﴿ الْوَهَابٌ ﴾١٣﴿ أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلَيَرَقُوا فِي الْأَسْبَابِ ﴾١٤﴿ جُنُدُّ مَا ﴾١٥﴿ هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِنَ الْأَحَزَابِ ﴾١٦﴾

التفسير:

١ - ٢ - ﴿صٌّ﴾ فيه إشارة إلى إعجاز القرآن الكريم، وتحدي البلوغاء أن يأتوا بمثل هذا القرآن. وفي الآية قسمٌ تنويه بالقرآن الكريم الموصوف بما فيه من شرف وفضل، وهو تذكير لمن نسي وغفل، لكنَّ الكافريين مستكثرون على الحق، متعالون عليه، وفي شقاق وعداء مع الله تعالى ورسوله ﷺ.

٣ - كثير من الأمم المكذبة قبل هؤلاء المشركين أهلناهم لکفرهم بربهم، وتکذيبهم لرسلهم، وحين نزل عليهم العذاب استغاثوا واستجاروا، ولكن فات وقت الاستجارة والنجاة، فلا مفر ولا منجي.

٤ - ٥ - وعِجبَ هؤلاء الكفار مِنْ بَعْثِ اللهِ إِلَيْهِمْ رجلاً منهم؛ ليَدْعُوهُمْ إلى ربهم، ويُنذِرُهُمْ عذابه، فكفروا به وكذبوه، وقالوا: ليس رسولًا صادقاً،

بل هو كاذب في قوله، ساحر لقومه؛ إذ كيف يُصَّيرِ الْآلَهَةَ الْكَثِيرَةَ إِلَهًاً واحدًا؟ إنَّ هَذَا الَّذِي جَاءَ بِهِ مِنَ التَّوْحِيدِ وَدَعَا إِلَيْهِ، لَشَيْءٌ عَجِيبٌ.

٦ - ٧ - وَخَرَجَ رُؤْسَاءِ الْقَوْمِ وَكُبَرَاؤُهُمْ يُحرِّضُونَ النَّاسَ عَلَىِ الْاِسْتِمْرَارِ عَلَىِ الشَّرِكِ، وَالْبَقَاءِ عَلَىِ الْكُفَرِ وَتَعَدُّ الْآلَهَةِ. إِنَّ مَا جَاءَ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ وَدَعَا إِلَيْهِ شَيْءٌ مُدَبِّرٌ، يُقصِّدُ مِنْهُ الرَّئِاسَةَ وَالسِّيَادَةَ، فَمَا سَمِعْنَا بِهِ فِي دِينِ آبَائِنَا مِنْ قَرِيشٍ، وَلَا فِي دِينِ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَىِ، فَمَا هُوَ إِلَّا كَذَبٌ وَافْتَرَاءٌ.

٨ - كَيْفَ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِ الْقُرْآنَ مِنْ بَيْنِنَا، وَلَيْسَ هُوَ بِأَكْبَرِنَا شَرْفًا، وَلَا أَكْثَرُنَا مَالًاً، وَلَا أَعْلَانَا رَئَاسَةً؟ إِنَّ هَذَا الْاعْتِرَاضُ وَالْإِنْكَارُ لَيْسَ عَنِ الْعِلْمِ، بَلْ عَنْ حَسْدٍ وَكِبْرٍ وَشَكٍّ، بَلْ قَالُوا ذَلِكَ؛ لَأَنَّهُمْ مَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَلَمْ يَذُوقُوا عَذَابَهُ، وَلَوْ ذَاقُوهُ مَا قَالُوهُ.

٩ - إِنَّ اصْطِفَاءَكُمْ لِلرَّسُولَةِ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكُمْ، وَفَضْلٌ مِنْهُ، فَهُؤُلَاءِ الْمُنْكَرُونَ يَمْلَكُونَ خَزَائِنَ رَحْمَةِ رَبِّكُمْ الْعَزِيزِ فِي سُلْطَانِهِ، الْوَهَابُ لِفَضْلِهِ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ خَلْقِهِ، حَتَّىٰ يَتَصَرَّفُوا بِهَذِهِ الْخَزَائِنِ وَالرَّحْمَةِ كَمَا يَشَاؤُونَ!!

١٠ - أَمْ لِهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الْمُعْتَرِضِينَ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا، فَيَتَصَرَّفُونَ بِالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ كَمَا يَشَاؤُونَ!! فَلِيَأْخُذُوا بِالْأَسْبَابِ الْمُوَصَّلَةِ لَهُمْ إِلَى السَّمَاءِ حَتَّىٰ يَمْلَكُوْا وَيَتَحَكَّمُوْا بِالْعَطَاءِ وَالْمَنْعِ.

١١ - هُؤُلَاءِ الْجَنْدِ الْمَكْذُوبُونَ جُنُودُ مَهْزُومُونَ، كَمَا هَزِمُوا غَيْرَهُمْ مِنَ الْأَحَزَابِ قَبْلَهُمْ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - أَقْسَمَ اللَّهُ بِالْقُرْآنِ تَعْظِيْمًا لَهُ، وَتَذَكِّرًا بِمَا فِيهِ، وَلَهُ أَنْ يُقْسِمَ بِمَا يَشَاءُ، أَمَّا إِنْسَانٌ فَلَا يُقْسِمُ إِلَّا بِرِبِّهِ تَعَالَى.

٢ - بيان ما كان عليه المشركون من كبراء في النفوس، وعداء للنبي ﷺ.

٣ - بيان جهل المشركين في استنكارهم للوحданية، وقبولهم لتعدد الآلهة، ودفعهم عنها.

٤ - الكِبْرُ والحسد من موانع قبول الحق، والانقياد له.

- ٥ - مَنْ لَا يَعْلَمُ وَلَا يَمْلِكُ فَلِيَسْ لَهُ حَقُّ الاعتراض عَلَى مَنْ يَمْلِكُ خَزَائِنَ كُلِّ شَيْءٍ، وَيَحْيِطُ عِلْمُهُ بِكُلِّ شَيْءٍ.
- ٦ - إِنَّ اتِّبَاعَ الرُّؤْسَاءِ وَالْكُبَرَاءِ بِلَا عِلْمٍ وَلَا وَعْيٍ مُهْلِكٌ.
- ٧ - لَيْسَ اتِّبَاعُ الْأَبَاءِ، أَوْ التَّمْسِكُ بِالْوَاقِعِ، دَلِيلٌ صَحَّةٌ وَحَقٌّ.
- ٨ - قَدْ يَكُونُ التَّحَزُّبُ مَدْعَةً لِلْخَطْأِ؛ لَمَا يَدْعُوا لَهُ مِنْ تَعَصُّبٍ يَمْنَعُ مِنَ التَّفْكِيرِ الْحَرِّ، وَالْبَحْثِ عَنِ الْحَقِّ.

﴿كَذَّبُتُ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَفَرْعَوْنُ ذُو الْأَوْنَادِ ﴿١٦﴾ وَثَمُودٌ وَقَوْمٌ لُوطٌ وَاصْحَابُ لَئِكَةٍ أُولَئِكَةُ الْأَحَزَابُ ﴿١٧﴾ إِنْ كُلُّ إِلَّا كَذَبَ الرُّسُلُ فَحَقٌّ عِقَابٌ ﴿١٨﴾ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةٌ وَجَهَدَةٌ مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا قِطْنًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٢٠﴾ أَصِيرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَإِذْكُرْ عَبْدَنَا دَاؤِدًا الْأَيْدِيْدَ إِنَّهُ أَوَّلُهُ ﴿٢١﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعْدُمًا يُسَيْحَنَ بِالْعَشَّيِّ وَالْإِشَارَاتِ ﴿٢٢﴾ وَالْأَطْيَرَ مَحْشُورَةً كُلُّهُ أَوَّلُهُ ﴿٢٣﴾ وَشَدَّدْنَا مُلْكَهُمْ وَأَتَيْتَهُ الْحِكْمَةَ وَفَصَلَ الْلِنْطَابِ ﴿٢٤﴾﴾

التفسير:

١٤ - كَذَّبُتُ قَبْلَ قَوْمِكَ - يا محمد - أَقْوَامٌ كثيرة كقوم نوح ، وعاد ، وثモود ، وفرعون صاحب القوة والعظمة ، وقوم لوط ، وأصحاب الأیكة قوم شعيب أصحاب البساتين والأشجار. أولئك الأقوام والأمم أصحاب القوة والكثرة والغنى الذين تحزبوا على الكفر والتکذيب ، واجتمعوا عليه. كلهم کذبوا الرسل ، وكفروا بهم ، وبما جاؤوا به ، فاستحقوا عذاب الله ، وحلّ بهم عقابه .

١٥ - فَمَاذا ينتظِرُ هُؤُلَاءِ المُشْرِكُونَ الْمُكَذِّبُونَ بَعْدَ عِلْمِهِمْ بِمَا حَلَّ بِالْمُكَذِّبِينَ قَبْلَهُمْ مِنْ عَذَابٍ؟ لِيَسْ الْأَمْرُ أَكْثَرُ مِنْ صَيْحَةٍ وَاحِدَةٍ بِهِمْ لِيَسْ لَهَا مِنْ رَجُوعٍ وَلَا انْقِطَاعٍ حَتَّى تُهْلِكَهُمْ .

١٦ - وَقَالَ هُؤُلَاءِ الْمُشْرِكُونَ عَلَى سَبِيلِ الْإِسْتِهْزَاءِ وَالسُّخْرِيَّةِ وَالْإِسْتِعْجَالِ: رَبَّنَا عَجَلْ لَنَا نَصِيبَنَا مِنَ الْعَذَابِ فِي الدُّنْيَا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ .

١٧ - أَصِيرْ - أَيُّها الرَّسُولُ - عَلَى مَا يَقُولُونَهُ، مَمَّا تَكِرُهُ سَمَاعَهُ، وَتَخَافُ

عقابه، واذكر عبادنا ونبينا داود صاحب القوة والقدرة على طاعة الله، والصبر والقوة على أعداء الله. إنه تَوَّاب كثير الرجوع إلى الله وما يرضيه.

١٩ - ١٨ - إِنَّا سَحَرْنَا الْجَبَالَ مَعَ دَاوِدَ يُسَبِّحُنَّ بِتَسْبِيحِهِ أَوَّلَ النَّهَارِ وآخِرَهُ، وسَحَرْنَا الطَّيْرَ مَجْمُوعَةً تُسَبِّحُ مَعَهُ بِتَسْبِيحِهِ، وَتُرَجِّعُ بِتَرْجِيعِهِ.

٢٠ - وَقَوَّيْنَا مُلْكَهُ، وَثَبَّتْنَا بِالْهَيْبَةِ وَالْقُوَّةِ وَالْحُكْمَ وَالنَّصْرِ، وَأَعْطَيْنَاهُ النَّبُوَّةَ، وَالْفَضْلَ فِي الْكَلَامِ وَالْحُكْمِ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تسليمة الرسول ﷺ وتشييته على الثبات أمام أذى قومه، وتكذيبهم.
- ٢ - تهديد المكذبين بالعذاب، وتخويفهم من مصائر المكذبين قبلهم.
- ٣ - بيان سَفَهِ المشركين بطلب تعجيل العذاب، وجَهْلِهِم بقدرة الله، وعظمته.
- ٤ - مشروعية الاقتداء بالصالحين، والتَّأْسِي بهم.
- ٥ - جمال الصوت من النَّعْمِ، ينبغي توظيفه في طاعة الله من قراءة وتسبيح ودعوة.
- ٦ - إثبات نَعْمَ الله على نبيه داود بأنواع النَّعْمِ: من حسن الصوت، وتسخير الجبال والطير تُسَبِّحُ بِتَسْبِيحِهِ، وَتُرَجِّعُ بِتَرْجِيعِهِ، وتلك من آيات الله ومعجزات داود ﷺ.
- ٧ - إنعام الله على داود في إثبات ملكه بالقوة والهيبة، والعدل والحكمة، والبيان في الخطاب، وتلك أسباب ثنيت الملك والحكم.

﴿وَهَلْ أَتَنَكَ نَبُوا الْخَصِّمٌ إِذْ سَوَرُوا الْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَقَرَعَ مِنْهُمْ فَالْأُولُوا لَا تَحْفَظُونَ خَصْمَانِ بَغَى بَعْضُنَا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكَمَ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا شُطُطٌ وَاهْدِنَا إِلَى سَوَاءِ الْصِّرَاطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَسَعْوَنَ نَعْجَةً وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ قَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّزَ فِي الْخُطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ سُؤَالُ نَجَّيْكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْخَلَائِلَ يَعْبُدُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ وَطَنَ دَاوُدُ أَنَّمَا فَنَتَهُ فَاسْتَغْفِرَ رَبِّهِ وَحَرَ رَأْكَعًا وَأَنَابَ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرَنَا لَهُ ذَلِكَ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَرْفَنَ وَحُسْنَ مَئَابٍ ﴿٢٥﴾

التفسير:

٢١ - ٢٢ - هل أنتاك - يا محمد - وقومك خبرُ المتخاصلين العجيبُ في واقعه، حين اعتلوا على داود سُورَ محاربَه، ودخلوا عليه مكان عبادته في خلوته، فارتاع من دخولهما عليه، فقالوا له: لا تخف، فنحن خصمان متنازعان، ظَلَمَ أحدنا الآخر، فاقضِ بيننا بالعدل والإنصاف، ولا تَجُرْ علينا في الحكم، وأرشِدنا إلى الطريق الحق، والسبيل الواضح العادل.

٢٣ - قال أحدهما: إنَّ هذا أخي وصاحبي يملك تسعة وتسعين نعجةً من النَّعاج، وليس عندي إلا نعجة واحدة فقط، فطمَّعَ فيها، وقال: أُعْطِنيها، وشَدَّدَ على في الكلام، وأكَّدَ رغبته فيها، وحرَّصَه عليها.

٢٤ - ٢٥ - قال داود: لقد ظلمك أخوك بسؤاله ضَمَّ نعجتك إلى نعاجه؛ ليُكْمِلَ ما عنده المئة. وإن كثيراً من الشركاء ليعتدي بعضهم على بعض، ويظلمه بأخذ حقه، وعدم إنصافه من نفسه، إلا المؤمنين الصالحين، فلا يبغي بعضهم على بعض، ويعطون الحق، وينصِّفون من النفس، ولكنَّ عددهم قليل. وأدرك داود أنَّا اختبرناه بهذه الخصومة، فاستغفر ربه من خطئه؛ لأنَّه سمع من طرف واحد ثم حكم في القضية، وحرَّ ساجداً توبَة وإنابة لربِّه، ورجوعاً عن ذنبه. فغفرنا له ذنبه، وأجَبْنا دعاءه، وجعلناه من المقربين عندنا، وأعْدَدْنا له كرامة وقربة، وحسْنَ مرجع عندنا.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الخوف طبيعة بشرية تعتري الإنسان في حالات كثيرة، ولا يُسلم منها الأنبياء.
- ٢ - تأكيد حسن الأدب والخطاب حتى عند الخصم والتحاكم من خلال ألفاظ الآية، وإغفال تعين الباغي منها، وإنما قالا: بغي بعضنا على بعض.
- ٣ - قوله: ﴿إِنَّ هَذَا أَخْرِ﴾ يحتمل أخوة القرابة والنسب، أو أخوة الصحبة والشراكة، وعلى أي منهما، فهما مثال لحسن الخطاب، وأدب المعاملة في خصومة القرابة والصحبة، واستبقاء الصلة، وعدم التقاطع والتداول.
- ٤ - إثبات نبوة محمد ﷺ، إذ مثل هذا القصص لا يأتي إلا بوحي إلهي.
- ٥ - الإنصاف من النفس شاهد لمدافعة حظوظ النفس وشهواتها، ولهذه العلة لا يجوزه إلا الفلة الذين تساموا بالإيمان والعمل الصالح، حتى راضُّ نفوسهم، وانقادَتْ للحق.
- ٦ - من طبيعة الخلفاء والشركاء الاختلاف والبغى فيما بينهم، مما يستدعي توثيق العقود وتفصيلها، منعاً من الاختلاف والتنازع.
- ٧ - وجوب التوبة عند وقوع الذنب والمسارعة لذلك.
- ٨ - بيان فضل داود عليه السلام وإكرام الله له بما أعطاه من نبوة، وملك راسخ، ومعجزات باهرة، وحكمة وبلاهة ظاهرة، وתوبة كاملة، و منزلة عند الله عاليه.
- ٩ - مشروعية السجدة عند قراءة قوله تعالى: ﴿وَحَرَّ رَأْكَعًا وَأَنَابَ﴾.

﴿يَنْدَوْدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُمْ بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعْ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا يَوْمَ الْحِسَابِ ﴾٢٦﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوْيِلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ ﴾٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّلِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفَجَارِ ﴾٢٨﴾ كَتَبْ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَرَّكٌ لِيَذَرُوا إِيمَانَهُ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾٢٩﴾

التفسير:

٢٦ - يا داؤد إننا استخلفناك في الأرض، فجعلناك خليفة فيها، ومملكاً لها. فاحكم بين الناس بالعدل والإنصاف، ولا تتبع الهوى في الأحكام، فيُضِلَّك ذلك عن دين الله وشرعيه، فإنَّ الذين يضلُّون عن سبيل الله، ويبيِّعون أهواءهم وشهواتهم، ويتركون شرع الله، فلا يُحَكِّمونه بينهم، لهم عذاب شديد وعقاب أليم؛ بغفلتهم عن الآخرة، ونسيانهم الحساب يوم القيمة.

٢٧ - وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما وما فيهما من عجائب المخلوقات وكثرة أنواع، ودقة خلقٍ، ما خلقنا ذلك باطلًا ولهم وعيًا وسدى، واعتقاد أن ذلك الخلق لغير حكمة هو ظن الذين كفروا، فويل لهم من النار يوم القيمة لکفرهم بربهم، وسوء ظنهم بخالقهم.

٢٨ - أَيُعْقَلُ وَيُقْبَلُ أَنْ نَجْعَلَ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَأَصْلَحُوهُمْ فِي عَمَلِهِمْ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ، الْكَافِرِينَ بِالرَّبِّ؟ أَمْ نَجْعَلُ الْأَخِيَارَ الْأَبْرَارَ الْمُتَّقِينَ لِرَبِّهِمُ الْمُطِيعِينَ لَهُ كَالْأَشْرَارَ الْفَجَارِ؟!

هذه التسوية بين هؤلاء وأولئك غير لائقة بحكمة الله وحكمه وعدله، فلا يستوفون عند الله وعند الناس، بل يُثبِّتُ الله المؤمنين الأتقياء الآخيار، ويعاقب المفسدين الأشقياء الأشرار.

٢٩ - هذا الكتاب الذي أنزلناه إليك يا محمد - وهو القرآن - كتاب عظيم مبارك، كثير الخيرات والبركات والمنافع في الدنيا والآخرة. أنزلناه ليتفكروا في آياته، ويَتَدَبَّرُوا هدایاته ودلائله؛ ليعملوا بها، وليذكروا أصحاب العقول السليمة القوية ما أنزله الله عليهم، وما هداهم إليه.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الإنسان خليفة الله في أرضه، فواجب عليه اتباع شرعيه.
- ٢ - وجوب الحكم بالعدل، وحرمة اتباع الأهواء في الحكم بين الناس؛ لأنَّ الهوى يُعمي ويُصمُّ، ويُوقع في الضلال والهلاك.
- ٣ - نسيان الحساب والغفلة عن الآخرة مَدْعَة للتفرط والخسارة.
- ٤ - تنزيه الله تعالى عن العبث والظلم والجهل.
- ٥ - عدم التسوية بين الكافر والمؤمن، والأخيار والأشرار. فلكلَّ عَمَلٍ، وكلُّ جزاؤه.
- ٦ - الحثُّ على تدبُّر القرآن الكريم؛ ومعرفة هدایاته ودلالاته، والعمل به.
- ٧ - بركة القرآن الكريم ثابتة ودائمة، ومنْ طلبها وجدها.

﴿وَهَبَنَا لِدَاؤِدَ سَلِيمَنَ نَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّلُهٗ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشَى الصَّدِيقَتُ لِلْحَيَادِ ﴾٢٠﴿فَقَالَ إِنِّي أَحَبِبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتِ الْحِجَابِ ﴾٢١﴾رُدُّوهَا عَلَى فَطْفَقَ مَسْحًا بِالْسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴾٢٢﴿وَلَقَدْ فَتَنَ سَلِيمَنَ وَلَقِينَا عَلَى كُرْسِيهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴾٢٣﴿قَالَ رَبِّ أَغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَبْغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَابُ ﴾٢٤﴿فَسَخَنَ لَهُ الْرِّيحُ تَجْرِي بِأَمْرِهِ ﴾٢٥﴿رُخَاءَ حِيثُ أَصَابَ ﴾٢٦﴿وَالشَّيَاطِينَ كُلُّ بَنَاءٍ وَغَوَّاصٍ ﴾٢٧﴿وَآخَرَيْنَ مُقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴾٢٨﴾هَذَا عَطَاهُ فَأَمْنَى أَوْ أَمْسَكَ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴾٢٩﴿وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزْفَنِي وَحْسَنَ مَأْبِ ﴾٣٠﴾

التفسير:

٣٠ - وزَّقْنا عبدنا داود بالولد الصالح سليمان، فأنعمنا به عليه، وأقرنا عينه به، فأنعمْ وأكرِّمْ بعبدنا سليمان، فإنه كان كثير الطاعة والرجوع إلى ربه، والإناية إليه.

٣١ - اذكر حين عُرِضَتْ على سليمان عصرًاً الخيول الأصيلة، وهي تقف على ثلاثة قوائم، وترفع الرابعة حين الوقوف لخفتها ونجابتها، فهي صافية في وقوتها، سريعة في جريها، خفيفة في حركتها، جميلة في شكلها، قوية مهيبة في منظرها، فما زالت تُعرضُ عليه وهو معجب بها.

٣٢ - فقال: إنما آثرت حُبَّ الخيل واستعراضها، حتى شغلتني عن ذكر ربِّي، وألهنتي عنه حتى غابت الشمس في حجابها، وغَرَبت في مغاربها.

٣٣ - رُدُوا عَلَيْيَ الخيلَ التي عُرِضَتْ عَلَيَّ مِنْ قَبْلِهِ، فرَدُّوهَا عَلَيْهِ، فَشَرَع يمسح على سيقانها ورقبتها - وهذا من الفروسيّة - وكان يتعجب منها بلطف؛ لأنها شغلته عن ذكر الله.

٣٤ - ولقد ابْتَلَنَا سليمان بأمر عظيم حين جعلنا على كرسٍ مُلْكِه شِقَّ وَلِدٍ رُزْقَ بِهِ حِينَ أَقْسَمَ لَيْطَوْفَنَّ عَلَى مَئِةِ امْرَأَةٍ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ تَأْتِي كُلُّ وَاحِدَةٍ بِفَارِسٍ مُجَاهِدٍ، وَلَمْ يَقُلْ: إِنْ شَاءَ اللَّهُ فَطَافَ عَلَيْهِنَّ فَلَمْ تَحْمُلْ مِنْهُنَّ إِلَّا امْرَأَةً وَاحِدَةً جَاءَتْ بِشِقَّ وَلِدٍ، فَعُرِفَ سليمان السبب، فَتَابَ إِلَى رَبِّهِ وَأَنَابَ، وَطَلَبَ مِنْهُ مَغْفِرَةً ذَنْبِهِ، وَإِجَابَةً دُعْوَتِهِ بِاسْتِدَامَةِ مَلْكِهِ، وَتَمَيِّزَهُ عَنْ مَلْكٍ غَيْرِهِ بِمَا لَا يُعْطِي لِغَيْرِهِ مِنْ بَعْدِهِ، فَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَاسِعُ الْفَضْلِ، كَثِيرُ الْعَطَاءِ.

٣٥ - فاستجابَ اللَّهُ دُعْوَتِهِ بِقَبُولِ توبَتِهِ، وَتَحْقِيقِ رَغْبَتِهِ وَطَلَبَتِهِ، فَسَخَّرَ لَهِ الرِّيحُ، وَذَلَّلَهَا لَهُ تَجْرِي لَيْنَةً طَيِّبَةً بِأَمْرِهِ، تَتجَهُ حِيثُ قَصْدِهِ.

٣٧ - وَسَخَّرْنَا لَهُ الشَّيَاطِينَ يَسْتَعْمِلُهُمْ فِي أَعْمَالِهِ، فَمِنْهُمُ الْبَنَاؤُونَ يَشِيدُونَ لَهُ الدُّورَ وَالْقُصُورَ وَالْحُصُونَ، وَمِنْهُمُ الْغَوَّاصُونَ فِي الْبَحَارِ يَسْتَخْرِجُونَ الْلَّؤْلُؤَ وَالْمَرْجَانَ، وَآخَرُونَ مِنْ مَرَدَةِ الشَّيَاطِينِ وَعَصَاتِهِمْ مُؤْتَقُونَ فِي الْأَغْلَالِ لَمْنَعْ شَرُورَهُمْ، وَكَفَ أَذَاهُمْ.

٣٩ - هَذَا الْمُلْكُ الْعَظِيمُ، وَالْتَّسْخِيرُ الْخَاصُّ الَّذِي لَمْ يَكُنْ لِغَيْرِكَ، عَطَاؤُنَا لَكَ، إِجَابَتْنَا لِدُعْوَتِكَ، فَأَعْطَيْتُمْ مَنْ شَئْتُمْ، وَاحْرَمْتُمْ مَنْ شَئْتُمْ، لَا حَسَابٌ عَلَيْكُمْ فِي ذَلِكَ وَلَا عَتَابٌ.

٤٠ - وَإِنَّ سليمانَ عِنْدَنَا فِي الْآخِرَةِ لَقُرْبَةً، وَحَسْنٌ مَرْجُعٌ، وَعُلُوٌّ مَنْزَلَةٌ.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - الولد الصالح هبة من الله، ونعمَةٌ على عبده، فعلى العبد شكر الواهب وبرُّ الموهوب.
- ٢ - الحث على المبادرة إلى التوبة والاستغفار عند الوقوع في الذنب مباشرةً، وعدم التأخير والتسويف.

٣ - جواز استعراض القوة في الأمة لإظهار القدرة، وشكر النعمة، وردع العدو.

٤ - الخيل مربوط بنواصيها الخير، فيها القوة والجمال في حركتها ووقتها واستعراضها.

٥ - إن لمس الإنسان لسيقان الخيل وأعناقها له الأثر البالغ في تطمئنها وإشعارها بالود والمحبة، ويمكن لراكب الفرس أن يعبر له أولها بما يشاء عن طريق اللمس، كذلك يمكن الفرس أن يتفهم مع غيره من الأفراس عن طريق لمس جسديهما بعض. (آيات الإعجاز العلمي: الحيوان في القرآن الكريم: زغلول النجار: ص ٢٨٠ - ٢٨٤).

٦ - إرجاع ضمير ﴿تَوَرَّتُ﴾ للشمس مع عدم تَقْدُم ذِكْرِها، إنما هو بقرينة ذكر العَشِيّ، وحرف الغاية، ولفظ توارت، ولفظ الحجاب، والإضمار للشمس في ذكر الأوقات كثير في الكلام.

٧ - الإنسان مُعَرَّضٌ لابتلاء، حتى الأنبياء، وفي ذلك رَفْعُ درجات، وتکفیرُ سيئات، وتذکیرُ بالنعم والحسنات.

٨ - بيان عُلُوٌّ منزلة سليمان عند الله، وبيان نِعَمِه عليه في الدنيا، بقبول التوبة، واستمرار الملك، وتسخير الريح والجن، وتصفييد المردة، وتمكينه من العطاء والمنع، لما لم يكن لأحد غيره من الناس. وفي الآخرة بالتكريم والتقريب وارتفاع المنزلة عند الله، وذلك فضل الله يؤتى به من يشاء.

٩ - لم يُسمِّ الله فتنته سليمان، وتحديدها اجتهاد لم يَرِدْ عليه دليل قاطع، فهو ابتلاء عَرَضَ له، ثم خرج منه بإنعم وإكرام؛ فضلاً من الله ونعمته.

وَادْكُرْ عَبْدَنَا أَيُوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِي الشَّيْطَانُ يُضْبِطُ وَعَذَابٌ^{٤١} أَرْكَضَ بِرْجِلَكَ هَذَا
مُغْتَسِلٌ بِأَرْدٍ وَشَرَبٌ^{٤٢} وَهُبَّنَا لَهُ أَهْلُهُ وَمِثْلَهُمْ مَعْهُمْ رَحْمَةٌ مِنَّا وَذِكْرَى لِأُولَئِكُمْ^{٤٣} وَخُذْ
بِيَدِكَ ضُغْنًا فَاضْرِبْ بِهِ وَلَا تَحْنَثْ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا فَعَمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ^{٤٤}

التفسير:

- ٤١** - واذكر - يا محمد - عبدينا أيوب حين دعا ربه بما أصابه، حين قال : إنَّ الشيطان تَسَبَّبَ لي بتعب ومشقة وألم في جسمي ، ومالي ، وأهلي .
- ٤٢** - فقلنا له : اضرِبْ بِرْجِلَكَ الأَرْضَ ينبع لك منها ماء بارد ، فاشرب منه ، واغسل فيه ، يذهب عنك ما أصابك من ضر وأذى .
- ٤٣** - وأعطيته أهله من زوجةٍ و ولد ، وزنهاته مثلهم بنين وحفدة ، رحمة منا به ، وإكراماً له على صبره ، وإجابة لدعوته ، وعبرة وذكري لأصحاب العقول السليمة ، والفهم الصحيحة .
- ٤٤** - وقلنا له حينما أقسم أيوب عليه السلام أن يضرب أهله : خُذْ بيدك حزمه أعاد من الحشيش ونحوه ، فاضرب بها مَنْ أقسمت على ضربه ؛ إبراراً بيمنيك ، حتى لا تحتث ، ولا تؤذي مَنْ أحببت . إننا وجدنا أيوب صابراً على البلاء الذي حلَّ به ، فِعْمَ العَبْدُ هو على صبره وطاعة ربه .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - في تذكير النبي محمد صلوات الله عليه وسلم وقومه بقصص الأنبياء قبله ، تسلية وتأسية وعبرة ، وتقرير للنبوة .
- ٢ - من فوائد الاغتسال بالماء البارد ما يلي :
 - أ - تنبية الجهاز العصبي مما يساعد على سرعة ردود الأفعال .
 - ب - تنشيط الجسم وزيادة تدفق الدم .
 - ت - تنشيط غدة البنكرياس وزيادة إفراز هرمون الأنسولين في الدم مما يساعد على سرعة احتراق السكر في الدم .
 - ث - التقليل من الألم لأنَّه يساعد الجسم على إطلاق هرمون الأندورفين القاتل للألم كما يحسن المزاج وينشط الأعصاب الحسية في الدماغ .

ج - تقوية جهاز المناعة ومقاومة الأمراض . (مجلة الإعجاز العلمي ص ٣٢، عدد ٤٥ ، ذو الحجة ١٤٣٤هـ).

٣ - في الابتلاء رفع درجات وتکفير سيئات؛ ولذا يعرض للأولىء والأنبياء.

٤ - فضل الصبر وعاقبته الحميда في الدنيا والآخرة.

٥ - بيان فضل نبي الله أیوب ، ونعم الله عليه ، بإجابة الدعاء ، ورفع البلاء ، وهبة الأهل والأبناء .

٦ - رفق الله بآیوب ومن أحب ، حين هداه للبِرِّ بيمنيه ، دون أذى حبيبه ، بمخرج شرعي لطيف حين أمره بالضرب بالضفت ، حيث لا حُنْث ولا أذى .

﴿وَادْكُرْ عِبَدَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيَّدِي وَالْأَبْصَرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخَاصَنَتْهُم بِخَالصَّةِ ذَكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَينَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾ وَادْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكَفْلِ وَكُلُّ مِنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِمُؤْمِنَ لَهُنَّ مَثَابٌ ﴿٤٩﴾ جَنَّتْ عَدَنِ مُفْنَحَةً لَهُمُ الْأَبْوَابُ ﴿٥٠﴾ مُشْكِنٌ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَكِهِهِ كَثِيرَةٌ وَشَرَابٌ ﴿٥١﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرَتُ الظَّرْفِ الْأَرْبَابُ ﴿٥٢﴾ هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَذَا لِرَزْقَنَا مَا لَهُ مِنْ نَقَادٍ ﴿٥٤﴾﴾

التفسير:

٤٥ - واذکر - أيها الرسول - عبادنا وأنبياءنا : إبراهيم ، وإسحاق ، ويعقوب ، فإنهم أصحاب قوة على الطاعة ، وبصيرة في الدين .

٤٦ - ٤٧ - إننا خصصناهم بخاصة عظيمة ، وميزة كريمة ، فقد جعلنا ذكر الدار الآخرة حاضرة في قلوبهم لا يغفلون عنها ، فعملوا لها بطاعتنا ، ودعوا الناس إليها ، وذكروهم بها . وإنهم عندنا من الأصفياء الخلصاء الذين اصطفيناهم لرسالتنا ، واخترناهم لطاعتنا .

٤٨ - واذکر - أيها الرسول - عبادنا : إسماعيل ، واليسع ، وهذا الكفل ، بأحسن الذکر . إنَّ كُلًاً منهم من الأنبياء والأخيار الذين اختارهم الله لنبوته ، واحتار لهم أكمل الأحوال والأوصاف .

٤٩ - ٥١ - هذا القرآن ذُكرٌ وشرف لك - أيها الرسول - ولقومك . وإنَّ لأهل تقوى الله وطاعته لمصيراً إلينا حسناً، إذ يقيمون عندنا في جنات مُعدَّة لإفامتهم يُستقبلون فيها بابوا بفتحة ، وأُعِدَّ لهم مجالس يتكتؤن فيها على الأرائك المزَيَّنة ، ويطلبون ما يشتهون من الفواكه المتنوعة ، وأنواع الشراب المتعددة .

٥٢ - وعندهم نساء متساويات في السن ، قاصرات أبصارهنَّ على أزواجهنَّ ، لا يُنظُرُنَّ لغيرهم ، ولا يتعلَّقُنَّ بسواهم .

٥٣ - ٥٤ - هذا النعيم المتنوع هو ما تُوعَدُونَ وتُجْزَونَ به - أيها المؤمنون المتقوون - يوم القيمة ، فهو رِزْقًا لكم ، لا انقطاع فيه ، ولا نفاد له .

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تكريم الله لأنبيائه بذكرِهم والثناء عليهم .
- ٢ - مدحُ الله لأنبيائه وعباده بالقوة في العبادة والطاعة ، وال بصيرة في الدين .
- ٣ - ذُكرُ الآخرة ، وعدم الغفلة عنها ، مَدْعَة للعبادة ، واستحضارها على الدوام .
- ٤ - بيان فضل التقوى ، والثناء على أهلها ، وبيان ما أُعِدَّ لهم في الآخرة .
- ٥ - تنوع نعيم الآخرة للمتقين وعباد الله المؤمنين ، بما تشتهيه الأنفس ، وتلذُّ به الأعين ، وهو نعيم دائم لا ينقطع ، جَمَعَ الكمال في العدد والنوع .
- ٦ - الأنبياء والصالحون هداة يقتدى بهم في الدين .

﴿هَذَا وَإِنَّكَ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَأْبِ﴾ **٥٥** جَهَنَّمْ يَصْلُوْهَا فِيْسَ الْمَهَادِ ﴿هَذَا فَلَيْدُ وَفُوهُ حَمِيمٌ

وَعَسَاقٌ﴾ **٥٦** وَاحَرُّ مِنْ شَكْلِهِ أَرْوَاحٌ **٥٧** هَذَا فَوْجٌ مُقْنَحٌ مَعَكُمْ لَا مَرْجَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا

النَّارِ **٥٨** قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَا مَرْجَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَمُوتُوْهُ لَنَا فِيْسَ الْقَرَارِ **٥٩** قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا

هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ **٦٠** وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى بِجَالًا كُنَّا نَعْدُهُمْ مِنَ الْأَشَارِ **٦١**

أَنْخَذْنَهُمْ سِخْرِيًّا مَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَرُ **٦٢** إِنَّ ذَلِكَ لَحُقُّ تَخَاصُّ أَهْلِ النَّارِ **٦٣**﴾

التفسير:

٥٦ - ٥٦ - هذا الذي سَبَقَ ذُكْرُهُ وَوَضْفُهُ للمتقين ، وأما الطغاة

المتجاوزون الحد في الكفر والظلم فلهم شر مرجع ومصير، فقد أعدت لهم النار يعذبون فيها، فيشملهم عذاب من جميع جوانبهم كأنها مهاد وفراش يتقلبون فيه، فيئس المهد والفراس.

٥٧ - ٥٨ - هذا عذابهم. وأما شرابهم فماء شديد الحرارة، وصديد سائل من أجساد أهل النار فليشربوه، ولهم أصناف وأنواع أخرى كثيرة من العذاب.

٥٩ - عند توارد المشركين على النار يتخاصمون بينهم، ويشتتم بعضهم بعضاً فيقولون: هذه جماعة كبيرة من الأتباعقادمة لكم، وداخلة معكم، فيقول الآخرون: لا أهلاً ولا مرحباً بهم، فلهم النار يقاسون حرّها، كما قاسيناها.

٦٠ - ٦١ - فيقول الأتباع للطاغيين المتبوعين: بل أنتم لا مرحباً بكم؛ لأنكم أضللتمنا في الدنيا عن الحق، حتى صارت النار لنا مسكنناً ومقرأً، فيئس دار الاستقرار. فيا ربنا من أضلنا في الدنيا عن الهدى وأدخلنا العذاب، فضاعف عذابه في النار.

٦٢ - ٦٤ - وقال الطغاة المتبوعون: ما بالنا لا نرى معنا في النار رجالاً كُنَّا نعذبُهم في الدنيا من الأشقياء والأشرار؟ هل تحقرنا لهم واستهزأونا بهم كان خطأ، أو أنهم معنا في النار، لكنْ لم نرُهم، ولم تقع عليهم الأبصار؟ إنَّ ما تقدَّم من جدال أهل النار وخصامهم، وحديث بعضهم لبعض، حَقٌّ واقع لا شك فيه.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - دُمُّ الطغيان في الكفر والظلم، وبيان جزاء أهله في الآخرة.
- ٢ - تنوُّع عذاب الطغاة والمشركين يوم الدين بما لا تُطيقه الأسماع، فضلاً عن الأجسام.
- ٣ - ذِكْرُ صورٍ ممَّا يجري من الخدام والجدال بين أهل النار للعظة والاعتبار، وكشف الحقائق والأسرار.
- ٤ - دعاء الأتباع على المتبوعين بمضاعفة العذاب عليهم؛ لأنَّهم سبب ضلالهم، وهم مَنْ زَيَّن لهم الكفر والمعاصي والفحوز.

٥ - بُطْلَانِ مُعْقَدَاتِ الْمُشْرِكِينَ، وَتَصْنِيفُهُمْ لِلنَّاسِ فِي الدُّنْيَا إِلَى أَشْرَارِ وَأَخْيَارِ .

﴿ قُلْ إِنَّمَا أَنَا مُنذِّرٌ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَحْدُ الْفَهَارُ ﴾٦٥ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا أَعْزَيزٌ
 ﴿ الْغَفَّارُ ﴾٦٦ قُلْ هُوَ نَبِئُ عَظِيمٌ ﴾٦٧ أَنْتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾٦٨ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِالْمِلَائِكَةِ إِذْ
 يَخْتَصِمُونَ ﴾٦٩ إِنْ يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾٧٠ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِذِ خَلَقْتُ بَشَرًا مِنْ طِينٍ
 فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعَوْا لِهُ سَاجِدِينَ ﴾٧١ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ
 ﴿ إِلَّا إِبْلِيسَ أَسْتَكَبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكُفَّارِ ﴾٧٢

التفسير:

٦٥ - ٦٦ - قل - يا محمد - لقومك : إنما أنا رسول من الله إليكم لأنّ حُوقّكم ، وأنذركم من عذاب الله أن يحلّ بكم ، بسبب كفركم وتكذيبكم ، وأبلغكم أنه ليس هناك إله مستحق للعبادة والطاعة إلا إله واحد هو الله وحده ، الذي قهر كل شيء وغلبه ، فهو مالك السموات والأرض وما بينهما ، والمتصرّف فيهما ، وهو العزيز في ملكه وانتقامه ، الغفار لذنب من تاب من عباده ، وأناب إلى مرضاته .

٦٧ - ٦٨ - قل - يا محمد - لقومك : إنّ هذا القرآن خبرٌ عظيم النفع والهداية ، أنت عنه غافلون منصرون لا تعلمون خيره ، ولا تعملون به .

٦٩ - ٧٠ - ليس لي علم باختصاص ملائكة السماء في شأن خلق آدم ، لولا تعليم الله لي ما لا أعلم وحيًا من الله لي ؛ لأنّذركم عذاب الله ، وأبيّن لكم شرعه ودينه .

٧١ - ٧٤ - اذكر - يا محمد - لقومك ، قصة خلق آدم حين قال ربكم للملائكة مخبرًا لهم : إني خالق بشراً من طين ، فإذا سوّيت خلقه ، وأكمّلت جسده ، ونفخت فيه من روحي ، فدبّت فيه الحياة ، فاسجدوا إكراماً له ، وإعظاماً لخلقته ، سجود تحيّة لا سجود عبادة ، فسجد الملائكة كلهم

أجمعون، طاعةً لله وامتثالاً لأمره، غير إبليس، فامتنع عن السجود تكبراً واستعلاً، وكان في عِلْمِ الله من الكافرين.

الفوائد والاستنباطات:

- ١ - تقرير التوحيد بأدلةه وعلاماته.
- ٢ - تقرير نبوة محمد ﷺ، وأنَّ ما جاء به وَحْيٌ من الله بشواهده من الخبر عن الملا الأعلى، الذي لا يَعْلَمُ ما يجري فيه إلا بِوحيِّ من الله.
- ٣ - إظهار عداوة إبليس لآدم وذرته.
- ٤ - ذُمُّ صفة الكبُر والحسد، وبيان شرّها وأذاتها على مَنْ اتصف بها.
- ٥ - تقرير الحوار بين الأنداد والأضداد، وعرض القرآن للشَّبه، والحجاج عند الخصوم بوضوح وصراحة تامة، والرَّدُّ على ذلك بالحججة البالغة.

﴿فَقَالَ يَئِيلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدِي أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْمُعَالِيْنَ ﴾٧٥﴿ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴾٧٦﴿ قَالَ فَأَخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴾٧٧﴿ وَإِنَّ عَيْنَكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الْدِيْنِ ﴾٧٨﴿ قَالَ رَبِّ فَانْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبَعْثُرُونَ ﴾٧٩﴿ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِيْنَ ﴾٨٠﴿ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴾٨١﴿ قَالَ فَعِزِّزْنِيَ لَا تُعِزِّزُهُمْ أَجْمَعِيْنَ ﴾٨٢﴿ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخَاصِيْنَ ﴾٨٣﴿ قَالَ فَأَلْقِنِيْ وَلْحَقِّ أَقُولُ ﴾٨٤﴿ لَأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَمَّنْ تَعْكِيْ مِنْهُمْ أَجْمَعِيْنَ ﴾٨٥﴿ قُلْ مَا أَسْكُنُكُمْ عَيْنَهُ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَبِّرِيْنَ ﴾٨٦﴿ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَامِيْنَ ﴾٨٧﴿ وَلَنَعْلَمَنَّ بَأَهُوَ بَعْدَ حِيْنٍ ﴾٨٨﴾

التفسير:

٧٥ - يخاطب الله إبليس: ما الذي منعك من السجود لِمَنْ أكرمه، فخلقه بيدي؟ ونفخت فيه من روحي؟ أستكبرت عليه، أم كنت من المتكبرين المتعاليين على ربك؟

٧٦ - قال إبليس معارضًا ربه: لم أسجد له؛ لأنني أفضل منه، وهو أدنى مني، فقد خلَقْتَني من نار، وخَلَقْتَهُ من طين، والنار خير من الطين. فرَدَ الله عليه: فاخْرُجْ من الجنة حقيرًا شريداً طريداً ملعوناً دائمًا إلى يوم القيمة.

٨٣ - ٧٩ - قال إبليس لربه: رَبِّ فَأَخْرُّ أَجْلِي، وَلَا تُهْلِكْنِي إِلَى حِينَ تَبْعَثُ الْخَلْقَ مِنْ قُبُورِهِمْ. فَأَجَابَ اللَّهُ طَلْبَهُ: إِنَّكَ مِنَ الْمُؤْخَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ حِينَ تَمُوتُ الْخَلَائِقُ جَمِيعًا عِنْدَ النَّفْخَةِ الْأُولَى.

٨٤ - ٨٥ - فَالْحَقُّ مِنِّي، وَلَا أَقُولُ إِلَّا الْحَقُّ، لَأَمَلَّنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ يَا إبليس، وَمَنْ ذَرَّتِكَ، وَمَمْنُّ تَبْعَكَ مِنْ بَنِي آدَمَ أَجْمَعِينَ، بَمْنُ تَبَعُ ضَلَالَكَ، وَتَرَكَ هُدَىِي.

٨٦ - قَلْ - يَا مُحَمَّدَ - لَهُؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ: لَا أَطْلُبُ مِنْكُمْ أَجْرًا وَلَا جَزَاءً عَلَى دُعَوَتِكُمْ وَهَدَيْتِكُمْ، وَلَا أَدَعُّكُمْ مَا لَيْسَ لَيْ، وَلَا أَتَكَلَّفُ شَيْئًا تَخْرُصًا وَافْتَرَاءً، بَلْ أَتَبُّعُ مَا يُوحَى إِلَيَّ مِنْ رَبِّي.

٨٧ - ٨٨ - مَا هَذَا الْقُرْآنُ إِلَّا تَذَكِّرُ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعًا مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ، يَتَذَكَّرُونَ بِهِ مَا يَنْفَعُهُمْ فِي دِينِهِمْ، وَمَا يُصْلِحُ أَحْوَالَهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ، وَسُوفَ تَعْلَمُونَ - أَيُّهَا الْمُشْرِكُونَ - خَبْرُ هَذَا الْقُرْآنِ وَصَدْقَهُ حِينَ يَنْتَصِرُ الْإِسْلَامُ، وَيَدْخُلُ النَّاسَ فِيهِ أَفْوَاجًا، وَحِينَ يَقْعُدُ عَلَيْكُمُ الْعَذَابُ، وَتَنْقَطُعُ عَنْكُمُ الْأَسْبَابُ، حِينَ تَرَوْنَ أَخْبَارَهُ وَحَقَائِقَهُ عَيْنَ الْيَقِينِ.

الفوائد والاستنباطات:

١ - في الآيتين (٨٢ - ٨٣) إخبار مستقبلٍ بأنَّ إبليس قد أخذ على نفسه عهداً بأنْ يُضِلَّ بَنِي آدَمَ، إِلَّا مَنْ أَخْلَصَ الْعِبَادَةَ لِلَّهِ تَعَالَى.

٢ - إِكْرَامُ اللَّهِ لِلإِنْسَانِ حِينَ خَلَقَ أَبَاهُ بِيْدَهُ، وَأَسْجَدَ لَهُ مَلَائِكَتَهُ، وَأَدْخَلَهُ جَنَّتَهُ.

٣ - غَضَبُ اللَّهِ عَلَى إبليس وَطَرَدُهُ مِنَ الْجَنَّةِ؛ لِمُعْصِيَةِ رَبِّهِ، وَحَسْدِهِ لِآدَمَ وَذَرِيَّتِهِ.

٤ - بيان غاية إبليس من طلب تأخير أجله؛ لِيُضِلَّ النَّاسَ، وَيُغُوِّيَهُمْ عَنِ الْحَقِّ، وَيُعَرِّيَهُمْ بِالْمُعْصِيَةِ، وَيُزَرِّيَنَّ لَهُمُ الشَّهَوَاتِ، وَيُوَسُوسُ لَهُمْ بِالشَّبَهَاتِ؛ لِيَكُونُوا قُرَنَاءَ بِالنَّارِ. وبِهذا تَظَهَرُ عِدَاوَةُ الشَّيْطَانِ لِلإِنْسَانِ.

٥ - حِفْظُ اللَّهِ لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ الْمُخْلَصِينَ مِنْ إِغْوَاءِ الشَّيَاطِينِ.

٦ - ذَمُّ التَّكَلُّفِ الْمُؤْدِيِّ إِلَى الْكَذْبِ، وَالتَّقْوُلِ عَلَى اللَّهِ، وَرَسُولِهِ، وَالْمُؤْمِنِينَ.

٧ - التذكر بالقرآن والتعلم من قصصه وخبره، وظهور صدقه وأنه وحي الله لرسوله ﷺ.

أ - في الآية (٨٨) إخبار مستقبليٌّ، والبشرة للإسلام وأهله، فقد تَوَعَّد الله المشركين بأنهم سيعلمون خبر هذا القرآن وصدقه حين يغلب الإسلام، ويدخل الناس فيه أفواجاً.

